



أصلح لي ديني 3 - الانتقائية في الدين

16 في ثانيا القرآن

2017-02-24

عمان

مسجد الناصر صلاح الدين

يا ربنا لك الحمد ملاً السماوات والأرض، وملاً ما بينهما، وملاً ما شئت من شئ بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرغ كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟! وكيف نصل في هداك؟! وكيف نذل في عرك؟! وكيف نضام في سلطانك؟! وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك؟!

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، لئخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزا نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلِّم تسليماً كثيراً.

وبعد فيا أيها الإخوة الكرام، مع الخطبة الثالثة من سلسلة خطب بعنوان أصلح لي ديني، وقد بيّنا في خطبة سابقة أن النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم كان كثيراً ما يدعو فيقول:

{ **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَايِشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي**

الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زَيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَأَجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ. }

(صحيح مسلم)

فالنبي صلى الله عليه وسلم، كان يدعو بصلاح الدين، وقد تحدثنا في الخطبة الأولى من سلسلة هذه الخطب عن إصلاح الدين بإقامته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى

** "أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ" وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُبِيبُ (13)**

(سورة الشورى)

أن نُقيم الدين في حياتنا، وأن نجعله منهجاً في واقعنا، لا أن يكون مجرد نصوصٍ نتلوها، بل أن يتحوّل إلى واقعٍ نعيشه **(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ)**. ثم تحدثنا في الخطبة الثانية، أنّ الدين ينبغي أن يجمع لا أن يُفَرَّقَ، **(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)** فالدين يجمعنا ولا يُفَرِّقنا، وعندما نتفرّق في الدين فديننا يحتاج إلى إصلاح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ (53)

(سورة المؤمنون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
** "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ" إِيَّاهُمْ أَفْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159)**

(سورة الأنعام)

هذا كان موضوع الخطبة الثانية.

ديننا يحتاج إلى إصلاح عندما يصبح ديناً انتقائياً:

واليوم الخطبة الثالثة، ديننا يحتاج إلى إصلاح حين يصبح ديناً انتقائياً، نأخذ منه ما يُعجبنا فنُطَبِّقُه، وتدع ما يُخالف هواناً فلا نُطَبِّقُه، قال تعالى في سورة البقرة يُخاطب اليهود:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
** "ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَنُحْرَجُونَ قَرِيبًا مِّنْ دِينِكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْعُدْوَانِ" وَإِنْ يَأْتِوكُمْ آسَارِيُّ نُقَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمٌ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِّعَمَّا تَعْمَلُونَ (85)**

(سورة الأنعام)



سُنن الله واحدة لا تتخلف ولا تتغير

استفهام إنكاري، يُخاطب الله تعالى اليهود، وخطابه لهم تسميع لنا، "الكلام لك يا جارة واسمعي يا كِئْتة"، يُخاطبهم لئُسمعنا، على طريقة القرآن الكريم، في ذكر أمراض من خلوا، لينعظ من يسمعون الآن بأمراض بني إسرائيل، لأن كل مرض وقع به بنو إسرائيل، فالأمة المسلمة مُرشحة أن تقع به، فسُنن الله واحدة لا تتخلف، ولا تتغير، ولا تتبدل، (أَقْنُومُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ).

أول شيء أُنْهَى الإخوة، العبرة كما يقول الأصوليون بعموم اللفظ لا لخصوص السبب، هناك سبب مُتعلق بالآية (أَقْنُومُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) وهو الفداء (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى نُفَادُوهُمْ) تفيلون الفداء، فداء الأسرى (وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) فلما قال: (أَقْنُومُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) أي الفداء، (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) وهو القتل والقتال، والإخراج، والمظاهرة، فالذي أعجبكم أخذتم به، والذي لم يُعجبكم تغافلتم عنه ولم تُطيقوه، هذا خصوص السبب، لكن العبرة لعموم اللفظ، فكل من يُطيق من دين الله عز وجل ما كان على هوى نفسه، ولم يُطبق شيئاً لا يُعجبه، تنطبق عليه هذه الآية، نقول له: أفتؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض؟! ولا نقصد بالكفر هنا الكفر الاعتقادي الذي يُخرج من الملة، لكن نقصد أنه يأتي بشيءٍ وبدع شيئاً، فسمي ترك بعض الكتاب كُفراً تشبيهاً عليهم.

الدين كُلُّ لا يتجزأ :

أُيْهَا الإخوة الكرام، الدين كُلُّ لا يقبل أن يتجزأ، من جهتين، حتى نكون واضحين فيما نقول أُيْهَا الإخوة، الدين كُلُّ لا يقبل التجزئة، من جهتين.



الدين كُلُّ لا يقبل أن يتجزأ

الأولى: لا يقبل التجزئة من جهة القبول به والإذعان له، بمعنى أن كل ما أمر الله به فهو أمر، وكل ما نهى الله عنه فهو نهى، لا يقبل من المسلم أن يقول هذه أعجبتني وهذه لم تُعجبني، وهذا ربما إن قاله مُعتقداً بما يقول، أدّى به إلى الكُفر، أن يرفض شيئاً من أحكام الله الثابتة، بدليلٍ قطعيٍّ لا مريبة فيه، هذا محسوم، لا ينبغي من جهة القبول والإذعان، أن تقبل بعض الأحكام وترفض بعض الأحكام، لا يقبل أبداً هذا من الجهة الأولى.

من الجهة الثانية: جهة التطبيق، قد يُطبق المسلم بعض أحكام الدين وبدع تطبيق الآخر، وكلنا مُقصدون.

{ **كُلُّ ابن آدمَ خطاءٌ، وخيرُ الخطائينَ التَّوَابُونَ** }

(أخرجه الترمذي وأحمد)

قَاتِلُوا اللَّهَ مَا سَبَّحْتُمْ> وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16)

(سورة التغابن)

وقد يعجز الإنسان عن تنفيذ كل ما في الدين من فروض، وواجبات، وسُنن، ونوافل، وهذا واقع، لكن نتحدث عن جهة التطبيق الآن، لكن عندما يصبح دُنياً انتقائياً نأخذها مبدأً في حياتنا، فُتطبق الشيء السهل، الشيء الذي تهواه أنفسنا، الشيء الذي لا يُكلفنا كثيراً نُطبِّقه، ثم نأتي إلى التكاليف والمُحرمات، والأمور التي تُخالف هوى نفسنا ومصالحتنا المُتوهمة، أقول المُتوهمة لأنَّ المصلحة في الدين حقيقة، لكن قد يتوهم الإنسان مصلحته خارج دين الله، عندها نقول له: **(أَقْتُوْمُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ)**، هذا من جهة التطبيق، من جهة القبول كُلُّ ما جاءنا عن الله ورسوله ينبغي أن نُدعِين له، من جهة التطبيق كل ما جاءنا عن الله ورسوله ينبغي أن نسعى إلى تطبيقه، لا أن يصيح دُنياً انتقائياً ننتقي البعض ونترك البعض الآخر.

أُهَا الإخوة الكرام، سأصرب أمثلة:



المصلحة في الدين حقيقةً

امراً تصوم إذا جاء رمضان، وتصلّي وهذا تجده شيئاً اجتماعياً، اعتادت عليه وألفته، ولها ثوابٌ على ذلك بلا شك، لكن إذا جئنا إلى قضية خروجها من البيت، فقلنا لها إنَّ خروجك من البيت ليس إسلامياً، طريقة لباسك لا ترضي الله عز وجل، تقول لك لا، هذا الأمر صعب، هذا كان لزمانٍ مُعيّن وانقضى، لا أستطيع أن ألتزم باللباس الإسلامي ولا بالحجاب الإسلامي، أنا ألتزم بهذا فقط، وإسلامي وإيماني في قلبي هنا، **(أَقْتُوْمُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ)**.

رجلٌ يأتي إلى المسجد يُصلّي الصلوات الخمس، يأتي رمضان فيصومه، يذهب إلى العُمره، فيعتمر وينزل في أحدث الفنادق، وهو أمرٌ مُبشّرٌ أصبح اليوم، ويعود، ويستقبله الناس، وقد يذهب كل عام فيحج بيت الله الحرام، وله ثوابٌ على ذلك إن ابتغى وجه الله، لكن يخرج إلى السوق ليُتاجر، ليُعامل الناس، فتجد كلَّ مُعاملاته بعيدةً عن الإسلام، هناك غشٌّ، هناك تدليس، هناك ربا، هناك تزويرٌ في البضاعة، تقول له: يا هذا أين دينك؟! أين صلاتك؟! أين حجُّك؟! كنت في بيت الله الحرام! يقول لك: يا أخي السوق لا يمشی إلا هكذا، لا أستطيع أن أربح إلا بهذه الطريقة، وهو بذلك يُعطي على ما يفعله، مع أنه يربح في رضا الله عز وجل، لكنه يُريد الربح الأكبر، ويتوهم أنَّ الربح الأكبر في معصية الله، نقول له عند ذلك **(أَقْتُوْمُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ)**، أخذت التي تُعجبك والتي لا تُكلفك، والتي قد تظهر أمام الناس بها بمظهر المُتدين، المُصلح، ثم تركت الشيء العملي، الذي يُرهقك وتُكلفك أن تتابع، وأن تتحرى وأن، هذه هي المشكلة أياً الإخوة **(أَقْتُوْمُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ)**.

والآن من يُنقذ شيئاً ويترك شيئاً، لن يقطف من ثمار تدبته شيئاً، عندها نقول له: قل اللهم أصليح لي ديني بصدق، وحاول أن تصلح دينك بأن تجعله ديناً كلاً لا يتجزأ، لا تأخذ البعض وتترك البعض الآخر، واسمعوا الآن إلى هذه الآيات الرائعة في هذا الباب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (48)

(سورة النور)

(وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ) في قرآنه، (وَرَسُولِهِ) في سُنَّته، (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) ليفصل بينهم في خلافاتهم، فيقول هذا حلال وهذا حرام، وهذا لك وهذا عليك (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ) يُعْرِضُ، لا يقبل أن يأتي إلى حُكم الله في المسألة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49)

(سورة النور)

إذا كان الحقُّ له يأتي إليه مُدْعِيًّا، فبالبَّالِ يقول لك تُريد الدين يا أخي، هو يعلم أنَّ حكم الشرع في هذه المسألة لصالحه، يأتي إلى الدين مُدْعِيًّا، يقول لك يا أخي نريد حكم الله عز وجل، (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِيِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آذَنُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)

(سورة النور)

الله عزَّ وجل جعل هذا الدين خاتم التشريعات ليصلح لكل زمان ومكان:

انظر إلى الخيارات القرآنية لهذا الرجل، الذي يأتي إلى الدين عندما يُعجبه، ويدعه عندما لا يُعجبه، ما هي الخيارات القرآنية، ما شأن هذا الإنسان؟ قال: (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) مريض، وأمراض القلب، ليس القلب المصخة التي تصخ الدم فحسب، أمراض القلب التي تبدأ آثارها السلبية المُدْمِرة بعد الموت، أما مرض القلب العصوي تنتهي آثاره عند الموت (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) نفاق، والمرض كثيراً ما يُطلق على النفاق، أن يعتقد شيئاً ويظهر شيئاً، أن يقول شيئاً ويفعل شيئاً، نفاقاً اعتقادياً وعملياً، (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آذَنُوا) يوجد عندهم شك، مازالوا غير مُقتنعين بكتاب الله ولا بشيئة رسوله، ما زال يقول لك يا أخي كان هذا الدين لغير هذا الزمن، كيف نعيش مع هذا الدين؟ وكان الله لا يعلم أنَّ هذا الزمن سيأتي، ولما أنزل التشريع جعله خاتم التشريعات، ليصلح لكل زمانٍ وكل مكان، (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ) تخاف أن يظلمك الله ورسوله؟! تخاف أن يظلمك الله؟ معاذ الله.



حُكْمُ اللَّهِ مَهْمَا يَكُنْ فَهُوَ لِصَالِحِكَ

حُكْمُ اللَّهِ مَهْمَا يَكُنْ فَهُوَ لِصَالِحِكَ، ولو قال لك ادفع مائة ألف، فهو لصالحك لأنه يُنجيك من عذاب الآخرة، لأنه عندما يحكم عليك، فإنه في المقابل يوماً ما سيحكم لك لينتشر العدل في المجتمع، لأنه عندما يحكم لزوجتك، فهو في المُحصلة يحكم لأخذك يوماً ما، ويحكم لأمك في طرفٍ آخر، أتخاف أن يحيف الله عليك ورسوله؟! لن يظلمك الله، مهما كان الحُكم فهو في مصلحتك.

امراً في الغرب تقول أنا مسلمة، وهذا يحصل في الغرب، تقول أنا مسلمة وأنا أُطبق شرع الله عز وجل، يحصل بينها وبين زوجها خلاف يؤدي إلى الطلاق، تقول لها الآن هناك محكمتان، محكمة شرعية تُعطيك القهر، لأنَّ المُطلقة تستحق القهر، وهناك حكمٌ أمريكي يقتضي أن تأخذي نصف أملاك زوجك إذا تمَّ الطلاق، تقول لا أنا مع القانون حتى أريه! أنا مع القانون، وأنت مسلمة!

حصل ذلك كثيراً، تقول أنا مع القانون حتى يعرف أنه عندما يعيش في هذه البلاد ينبغي أن يُطبق قوانينها، وحُكم الشرع؟! حُكم الشرع لا يُعطيني إلا القهر، هذه مشكلة كبيرة جداً، عندما يحتكم الإنسان إلى هواه لا يحتكم إلى دين ربه.

أَيُّهَا الإخوة الكرام قال تعالى: (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

يظلمون أنفسهم ويظلمون الناس، الآن الموقف الإيماني قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)

(سورة النور)

هذا موقف المؤمن، دينه ليس انتقائياً في كل مسألة، (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطئ غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكَيْس من دان نفسه وعَمَل لِمَا بعد الموت، والعاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى واستغفروا لله.

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولِيُّ الصالحين، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنَّه لا يذلُّ من واليت ولا يُعزُّ من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، فَكَلِّ الحمد على ما قضيت، ولك الشُّكر على ما أنعمت وأوليت، نستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يُقرِّبنا إليك، يا واصل المنقطعين صلنا برحمتك إليك.

اللهم بفضلك عُقِّنا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهَمَّنَا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُنَّة توقُّنا، نلِّقنا وأنت راضٍ عنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنَّا كنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين، وارزقنا اللهم حُسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عنا.

اللهم بفضلك ورحمتك أعلِّ كلمة الحقِّ والدين، وانصر الإسلام وأعزِّ المسلمين، اللهم من أراد بالإسلام ودياره وأهله خيراً فوفِّقه لكل خير، ومن أراد بهم غير ذلك فاشغله بنفسه يا أرحم الراحمين.

اللهم بفضلك ورحمتك انصر إخواننا المُستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، على أعدائِكَ وأعدائهم يا ربَّ العالمين، أطعم جائعهم، واكسُ عُربانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتقبلاً يا أرحم الراحمين، اجعل هذا البلد آمناً سخيّاً رحيماً مُطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

وَقِّ اللهم ملك البلاد لِمَا فيه خير البلاد والعباد.

أقم الصلاة وقوموا إلى صلاتكم برحمتكم اللهم.

نور الدين الاسلامي